«وما آفة الأخبار إلا رواتها» من أوراق حازم جواد*: حركة 8 شباط المغدورة بين الحقائق والتشويه (10)

اجنحة للحزب في سورية كانت تخطط لاحباط الوحدة.. واستغلت بنجاح سذاجة السعدي واندفاعه

موقف السعدي من الحل الناقص للكويت واذاعته الموجهة ضد ناصر قصمت ظهره ودفعتني للتخلي عنه

بعد اكثر من اربعين سنة على وقوع حركة شباط المعروفة في التاريخ العراقي (1963) قرر حازم جواد قائد هذه الحركة وأحد الرموز المهمة فيها العودة اليها، ووضع النقاط على الحروف. ويقدم جواد عرضا تاريخيا للاحداث وتقييما للشخصيات التي لعبت في هذه الحركة والظروف العراقية والاقليمية. وهي شهادة مهمة لانها تصدر عن واحد من اهم صناع هذه الحركة. وفي هذه الحلقة يواصل الحديث عن علاقته بعلي صالح السعدي، وعلاقة عارف بحزب البعث الذي لم ينضم اليه رغم ولائه الشديد له.

«القدس العربي»

شهادة اخرى للفكيكي

لا اريد ان انزل بشهادتي هذه الى مستوى السجالات الفارغة التي يلجأ اليه البعض لينسب لنفسه ما ليس فيه او له، او لتشويه صورة الحركة، التي لا شك كانت صفحة مشرقة من صفحات مسيرة حركة التحرر العربي. الا انه لا يفوتني هنا ان اذكر بما ورد في مذكرات السيد هاني الفكيكي «اوكار الهزيمة»، وعلى امتداد صفحاتها الـ385، يحاول ان يوصف سلوكيات السيد علي صالح السعدي والاجواء الحزبية السائدة خلال عام 1961، وطغيان العلاقات الشخصية وسيادتها على المبادئ والعلاقات الحزبية، خلال غيابي عندما كنت في المعتقل، وهي مقارنة بالواقع او بما جرى على الارض لا تمثل الا الجزء الصغير من قمة جبل الجليد الطافي. ويمكن للقارئ العودة للصفحات 107 ـ 110، 173 ـ 177، وكذلك الصفحات 208، 210، 217، الخ.

ان لشهادة المرحوم الفكيكي في هذا المجال، دلالة خاصة لا تتوفر عند غيره، فهو ممن التزم موقف المرحوم علي اثناء وبعد ما عرف بأزمة تشرين، واستمر معه في العمل السياسي مساهماً معه بما سمي بالبعث اليسار، وبعد ابعادهم من سورية هجرا او تخليا عن تنظيم البعث اليسار، وشكلا مع قلة من الآخرين ما عرف بحزب العمال الثوري العتيد، واستمرا في العمل سوية في هذا الاطار حتى قيام انقلاب 17 تموز (يوليو) 1968، فقاما بحل هذه المنظمة التي بقيت لايتجاوز عدد اعضائها، عدد اصابع اليد، كما سلما جهازها الطباعي الى ناظم كزار معلنين بذلك حل التنظيم، وانصرف كل منهما الى شؤونه الخاصة وافترقا بعد ذلك حيث رحل المرحوم السعدي عن الدنيا وهاجر السيد الفكيكي الى لندن ليجرب على ما يبدو تطبيق «يساريته» التي انتهت به ليكون نائباً للسيد احمد الجلبي في قيادة ما سمي المؤتمر الوطني العراقي بهدف الاجهاز ليس على ثورة 14 تموز و«بَناتِها» وانما لمحو الدولة العراقية من الخارطة و الوجود. لهذه الاسباب التي ذكرها الفكيكي في كتابه الآنف الذكر، واتحاشى التطرق لها بالتفصيل اكراما للعلاقة التي ربطتني بواحد من اقرب رفاق النضال، مع العلم انه لم تسلم للمرحوم السعدي اية مسؤولية تذكر في الحزب طيلة عام 1962 وحتى قيام حركة 8 شباط (فبراير) 1963، حتى الامور المالية سحبت منه، وتسلمت مسؤوليتها، اضافة لمسؤولياتي في قيادة تنظيم بغداد، والمكتب الثقافي، وللمكتب العسكري، واشرافي المباشر على اجهزة الطباعة الجديدة المشتراة من السوق العراقية وتأمين سلامتها، مع بعض المهمات والاجهزة السرية الاخرى.

دور المطبعة

نحن نتحدث هنا عن تجربة ثورية، آمل ان يكون فيها من الدلالات والعبر ما يمكن ان يكون دروساً في العمل الثوري لاجيالنا القادمة او حتى لبعض فصائل الثورة العربية التي لا زالت تعمل بجد واخلاص غير طبيعي لمواجهة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية الشرسة التي تتعرض لها امتنا العربية عامة، وفي مختلف اقطارها، لعل اخطرها جميعا ما يجري من تنفيذ لبعض صفحات هذه المؤامرة في العراق وفلسطين ولبنان والسودان، كما هي الاقطار الاخرى جميعها. اقول ونحن نتكلم عن تجربة ثورية، لا يسعني إلا ان اتكلم عن دور تلك المطبعة التي ذكرتها في الفقرة اعلاه، رغم ان التطور التكنولوجي في مجالات الاعلام قلل من دور الجريدة، التي اعتبرها «لينين» في كتابه «ما العمل» المحور الذي يمكن ان يتشكل حولها التنظيم السري الثوري الذي يتحمل مهمة انجاز اهداف الثورة الوطنية الديمقراطية. ساهمت تلك المطبعة بامكاناتها الفنية المتطورة قياسا لزمنها، على معاودة طبع جريدة الحزب «الاشتراكي» التي عادت للصدور بانتظام بعد توقف سنتين او اكثر والنشرات الداخلية للجهاز الحزبي، وادت دورا فعالا في تهيئة الحزب والجماهير العراقية للعمل من اجل تحقيق الحركة المباركة. وتعميق مفاهيم الحزب، ونشر افكاره، وتصحيح تلك الصورة المشوهة التي اراد قاسم والشيوعيون، وبقايا النظام الملكي، والشعوبيون، خلقها في اذهان الجماهير عن الحزب. كما كان توزيع اعداد الجريدة والمطبوعات الاخرى على كافة منظماته المنتشرة في كافة انحاء العراق، يمثل عملية اختبار للتحرك السري المنظم، والقدرة على الانتشار بين الجماهير ومخاطبتها بلغة مفهومة ومؤثرة، اضافة للانضباط والتعلم على الدقة في تنفيذ المهمات الحزبية. اقول: اختبار، كان يتكرر كل شهر، مع كل عدد جديد وكل مناسبة تتطلب ذلك. كانت النشرات التي يصدرها الحزب بالمناسبات المختلفة، الوسيلة الثانية لاختبار قدرات الحزب ونشاط ودقة حركة اعضائه في اداء المهمات السرية. كانت هناك انواع مختلفة من المنشورات الحزبية، منها ما هو داخلي خاص بالاعضاء، ومنها ما هو جماهيري يوزع بشكل اكبر، وبطرق مختلفة. كنت اشارك في كثير من الاحيان الكادر الحزبي المهني في طباعة واعداد هذه النشرات التي كانت تهز كيان قاسم، وتقلقه الى الحد الذي دفعه للحديث عنها ومهاجمتها علناً في احد خطاباته، قبيل سقوطه وخلال الاضراب الطلابي العظيم، والانتفاضة الطلابية الرائعة التي تمكن الحزب من تنظيمها قبل الحركة بثلاثة اشهر، ومهدت لقيامها، فاتهمَ قاسم السفارات الاجنبية بطبع وتوزيع المنشورات، دون ان يعرف ان مطبعة الحزب موجودة في احد البيوت الحزبية الذي لا يبعد الا بضع مئات من الامتار عن داره الكائنة في شارع العلوية. كان البيت يستخدم بشكل علني الاسم العلني للشركة الوطنية للدعاية والاعلان التي جمدت نشاطها بعد احداث 1959 والتي كان السيد صباح المدني موظفاً وحيداً فيها فوضعها تحت تصرف الحزب.

مكتب الطلبة والاتحاد الطلابي

عند الحديث عن الانتفاضة الطلابية، التي كان يقودها تنظيم بغداد، الذي كنت اتولى مسؤوليته. كجزء من مهامي الحزبية، كنت اشارك واتابع مع بقية اعضاء مكتب تنظيم بغداد والقيادات الطلابية في الكليات اخبار الانتفاضة يوما بيوم واحياناً بالساعات، ونعمل سوية في كتابة واعداد النشرات الطلابية والحزبية التي تتحدث عن اخبار الانتفاضة. ولم يكن للاخ علي صالح السعدي اي دور يذكر في هذه الانتفاضة. كان من القيادات الطلابية النشطة التي شاركت قيادة منظمة بغداد في اعداد ومتابعة وتنظيم نشاطات هذه الانتفاضة الطلابية يوما بيوم، رئيس مكتب الطلبة في الحزب الرفيق عبد الستار الدوري، والدكتور مقداد العاني رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق في ذلك الوقت. كانت بعض توقيتات الحركة تعتمد على استمرار الانتفاضة الطلابية التي تم ادارتها وتعبئتها بقيادة نضالية مثالية، ومبعث فخر واعتزاز للحزب ومكتبه الطلابي.

توقف اضراب الطلبة بسبب العطلة الربيعية او عطلة منتصف السنة، وكان يفترض ان تفتح المدارس والجامعات ابوابها بعد انتهاء هذه العطلة، يوم السبت 9 شباط (فبراير)، وكان قرار تحديد يوم التحرك اتخذ وتم الاتفاق على ان يكون يوم 8 شباط (فبراير)، اي اخر يوم من ايام العطلة المدرسية. حاولت ورفاقي في القيادة ومكتب تنظيم بغداد ان نستثمر هذا التقارب في التاريخ لاستخدامه كجزء من خطة التمويه، وخداع الاجهزة الأمنية للنظام تحسبا لتسرب الموعد الصحيح للتحرك، لذلك كنت أؤكد خلال لقاءاتي بجماعات التنفيذ المدنية على ضرورة التأهب ليوم 9 شباط (فبراير)، وهو اليوم الاول لبدء الفصل الدراسي الجديد، لتدعيم استمرار الاضرابات الطلابية وتوسيعها. ففرق التنفيذ كانت مبلغة بتفاصيل مهماتها المطلوب تنفيذها بدقة، وترك التبليغ بساعة الصفر الى ما قبل وقت التنفيذ بساعات قليلة، بل ان بعض هذه الفرق مبلغة على ان تتحرك لتنفيذ مهماتها المكلفة بها لحظة سماعها البيان الاول من الاذاعة، لأن الخطة تعتمد اساساً على السيطرة على معسكر ابو غريب ومرسلات البث الاذاعي هناك واذاعة البيان الاول للحركة كأول صفحة قتالية في الحركة، والنداء الأول لتحرك الفرق المدنية المتواجدة اصلا داخل المدينة، اي قريبا من مواقع مهماتها. وكما ذكرت في اكثر من موقع، كانت المهمة الاساسية للفرق الحزبية المدنية المدربة على السلاح هي تغطية النقص الحاصل في قوات المشاة، ومن اهم اهدافها السيطرة على الباب النظامي الشمالي لمعسكر الرشيد واغلاق الطريق الرئيسي المؤدي له، كذلك تأمين وسلامة طريق بغداد ابو غريب، لذلك عليها، ان تهرع مباشرة وحالما تسمع البيان الاول الى اماكن تواجد محددة بانتظار وصول الدبابات والمدرعات او السيارات العسكرية المعدة لنقلهم لمرافقة الدبابات.

توزيع الجريدة جزء من التمويه

كان الاصرار على توزيع جريدة الحزب بكثافة، هو جزء من عملية التمويه، اصدرت التعليمات بان يتم توزيع عدد كانون الثاني (يناير) في بداية شهر شباط (فبراير). وكان قد طبع من هذا العدد اكثر من 100000 نسخة، خمسون الف نسخة منها داخل بغداد، والنصف الاخر في المحافظات الاخرى، للايحاء للاجهزة الامنية للنظام بأن حزبا يشغل اعضاءه بتوزيع الجريدة بهذا الشكل الواسع، لا يفكر بعمل سري مسلح وشيك لقلب النظام. ان توزيع الجريدة بهذا العدد الكبير يشير الى حجم التأييد الذي كسبه الحزب في الشارع العراقي في حينها، وهو حزب سري مطارد او مطلوب ومحارب من قبل الاجهزة الامنية للنظام . كان مجرد العثور على الجريدة مع اي مواطن، يشكل تهمة او مخالفة قانونية يحاسب عليها الانسان. ولا اعتقد الان ان حزبا علنياً او سرياً اي مدعوماً من قبل الدولة يستطيع وعلى امتداد الوطن العربي ان يقوم بطبع وتوزيع مثل هذه الكمية. بعد نجاح الحركة وجدت العدد الاخير من «الاشتراكي» والاعداد السابقة في ملف خاص فوق مكتب قاسم.

لذلك استطيع القول ان اسهامات الاستاذ علي السعدي في الاعداد للثورة كانت محدودة. على ان هذا لا يعني ان هناك خلافات محددة بيننا، فكما ذكرت كانت العلاقة ودية، قائمة على الاحترام المتبادل، ولم يظهر علي اي تمرد اومانعة في تنفيذ ما تكلفه به القيادة من مهمات. حتى بعد استلام السلطة لم يكن هناك من خلافات من اي نوع بيني وبين علي، او بين علي وعبد السلام عارف، في الايام الاولى بعد نجاح الحركة. كما اورد «الروائي» نعمة فارس، أؤكد على مصطلح روائي هنا لكثرة ما ركبه من قصص مختلقة في مقالتيه، كالمشادة الكلامية بيني وبين علي اثر تعيين عبد السلام في منصب رئيس الجمهورية.

خلافات السعدي

الخلافات الاولى للمرحوم علي السعدي كانت بينه وبين وزير المالية المرحوم صالح كبة، وسببه عدم التزام علي باللوائح الوظيفية، وتعيينه اكثر من 12 شخصية بوظائف من الدرجة الاولى كالمتصرفين (المحافظين) والمدراء العامين، والتي تتطلب الحصول المسبق على موافقة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير المالية، وصدور مرسوم جمهوري ينص على موافقة جميع هؤلاء الثلاثة. الا ان علي كان يصدرها من وزارته دون استشارة او موافقة احد، فاحتج وزير المالية، وكادر الوزارة البيروقراطي على ذلك بسبب عدم استطاعتها تنفيذ ذلك الأمر، الذي صدر دون ان يعطي مجرد خبر، ولو بحكم المجاملة واللياقة، لرئيس الوزراء او امين سر الحزب او وزير المالية.

اما خلاف او اشتباك علي صالح السعدي فكان مع صديقه صالح مهدي عماش بسبب الخلاف على تعيين مدير عام للتربية البدنية التي لا علاقة لهما به، رشح عماش الاستاذ نجم السهروردي لذلك المنصب، ورشح السعدي الاستاذ محمود القيسي، وكان الاثنان تتوفر فيهما شروط المنصب بمؤهلات متكافئة. ودخل الاثنان في صراع نجهله. وبعد ان تلاسن عماش والسعدي بالسباب والشتائم عن طريق التلفون، فوجئت بدخول علي الى غرفتي في مجلس القيادة ويده على مسدسه باحثاً عن الجبان الجاسوس عماش (كما وصفه السعدي في حينها)، لم ينقطع صراخه هذا امام الحرس والموظفين في مكتب السكرتارية.

البكر يطلب تعيين عارف رئيسا دائما لمجلس الثورة وقائدا عاما

كانت ثالثة الاثافي في شهر ايار (مايو) عندما كلف البكر بتشكيل الوزارة الجديدة. جاءني البكر الى غرفتي ليطلب مني سحب السعدي من الوزارة كما ذكرت اعلاه. للامانة أؤكد هنا ايضاً، ان الرئيس عبد السلام عارف لم يكن طرفاً، ولم يتدخل في كل تلك الخلافات، كان يتركها للحزب وامين سره كاتب هذه السطور لايجاد الحل الملائم لها. بل كان يكن الود لعلي، وكما ذكرت فانه كان يقول له امامي، ولمرات عديدة، يا اخ علي لا تسمع كلام الانتهازيين والمنافقين، على عكس ما اشيع عن العلاقة المتوترة بين السعدي وعارف منذ اليوم الاول للحركة . لم اسمع يوماً من علي رأياً سيئاً في عارف لا من خلال اجتماعات مجلس الوزراء، او مجلس قيادة الثورة او حتى اجتماعات الحزب، بالعكس كان علي يظهر الولاء والمداهنة لعارف ويحاول التقرب منه خاصة في الايام التي سبقت تشرين الثاني (نوفمبر). وعندما طرح المخاتل الماكر، المتآمر احمد حسن البكر يوم 3 تموز (يوليو) 1963، وبعد القضاء على التمرد الذي حصل في معسكر الرشيد، اقتراح تعيين عبد السلام في منصب رئيس مجلس قيادة الثورة، والقائد العام للقوات المسلحة، فلم يعترض احد من اعضاء مجلس القيادة غيري، رغم ان الفكيكي في «اوكاره المهزومة» ينسب ذلك الاعتراض الى سعدون حمادي، ولو انه اعتذر فيما بعد متذرعاً بالنسيان. والا هل هناك من يصدق ان حمادي يتصدى لاقتراح طرحه البكر ويخص الرئيس عارف، وهو المعروف بجبنه وتخاذله وخسته التي لازمته حتى بعد احتلال العراق، فخلع بدلته العسكرية التي كان يرتديها مختالاً، ماسكا قطعة الطباشير ليكتب بيده على جدار المجلس الوطني «الموت لاميركا»، لكنه لم يتردد ان يلتجئ لقوات الاحتلال وسلطته طالبا مساعدتها ليسافر وجميع افراد عائلته الى بيروت عبر الاردن.

نصائح عارف للسعدي

بالمقابل كان عبد السلام في الايام الاخيرة من الأزمة ينصح علي كثيراً نصائح اخوية صادقة، ويتمنى عليه ان لا يستمع لاقاويل المغرضين، كما كان عارف يكن منتهى الاحترام والتقدير لجميع القيادات البعثية القطرية والقومية. الا انه تغير بمرور الايام بعد ان احتك ببعضها، وتعامل معها عن قرب، واكتشف ان بعضها ليس اهلاً للمواقع القيادية التي يحتلونها، خاصة وانه كان يحمل فكرة مثالية عن حزب البعث والبعثيين قيادةً واعضاء، من خلال تجاربه مع بعثيين آخرين من امثال المرحوم فؤاد الركابي، وناظم جواد وحازم جواد، وبعثيين آخرين.. كما بدأت تصله اخبار كثيرة من المغرضين والحاقدين على حزب البعث، عن سلوك وتصرفات بعضهم، والتي لا شك ان بعضها وصله بصور مضخمة. تضاف الى ذلك الاخطاء اليومية المريعة لبعض افراد الحرس القومي التي ضج الناس منها وسئموها، هذا الى جانب اخطاء وتصرفات بعض القادة. وكان عارف يأمل دائماً، كغيره من المخلصين، ان يبادر الحزب لاصلاح نفسه من الداخل. وكان الصاروخ الطائش الغادر للوندواي هو السبب في بداية انقلاب عبد السلام على الحزب. كما كان البكر وحردان وحتى عماش وضباط بعثيين آخرين وراء تريض ودفع الرئيس عبد السلام عارف لضرب حزب البعث. اؤكد وللتاريخ ان عارف كان اكثراً اخلاصاً للحزب، واكثر حرصا عليه من الكثير من الآخرين الذين تسلقوا على اكتاف البعث والبعثيين، مثل عماش والبكر.

القشة التي قصمت ظهر السعدي: الحل الناقص والاذاعة

ان القشة التي قصمت ظهر السعدي، وجعلته في موقف الضعيف للدفاع عنه، واضطرتني لان اتخلى عنه، هي استعجاله التصويت لصالح الحل الناقص للمسألة الكويتية، واصطفافه مع عماش والبكر وحردان التكريتي ومواليهم من مؤيدي الحل الناقص وكنت وعارف الوحيدين اللذين صوتا ضد ذلك الحل. اما القشة الثانية فهو نصبه لاذاعة سرية موجهة ضد عبد الناصر، دون علم احد، والتي ابلغني بوجودها المرحوم «شاذل طاقة» مدير وكالة الانباء العراقية الذي يتبع ادارياً وزيره علي السعدي. افتتح المرحوم علي الاذاعة السرية باتفاق مع جناح آخر من البعث السوري، بهدف احباط مشروع زيارة الرئيس عبد الناصر الى بغداد، تلك الزيارة التي بدّلتُ فيها ما هو مستحيل ومضى لاقناع الرئيس عبد الناصر لتحقيقها، رغم الجروح وعدم الثقة التي كانت بينه وبين البعث السوري، والى حد ما مع بعث العراق. من الواضح ان بعض المراكز المتصارعة في الحزب في سورية كانت تخطط لاحباط مشروع الوحدة الثلاثية بين العراق وسورية ومصر ، فاستغل هذا الخط سذاجة وهوس واندفاع وعدم اتزان علي السعدي لتنفيذ مخططهم هذا (والا لماذا لم يتم نصب الاذاعة في دمشق؟)، ونجحوا في تحقيق اغراضهم هذه عندما قدمَ الرئيس عبد الناصر اعتذارا رسمياً عن الزيارة بسبب تلك الاذاعة، في رسالة خطية سلمها لنا الاخ السفير امين هويدي. انا لا اريد ان اتسلط على عقل القارئ وافرض عليه ان يسلم بما اقول دون بحث وتمحيص، واخص بالذكر الكتاب والباحثين والمؤلفين الذين بامكانهم الاطلاع على الكثير من هذه التفاصيل في سجلات ووثائق مجلس قيادة الثورة، ومجلس الوزراء التي ارجو ان لا تكون هي الاخرى قد تعرضت للضياع جراء تخريب الهجمة البربرية الوحشية على العراق، ليكتشف بعد ذلك حجم الزيف والتشويه الذي اضافه السيد نعمة فارس على الحركة تحت غطاء الرغبة في تصحيح بعض الاخطاء والتشوهات...!؟

ما زلت مناضلا قوميا وبعثيا ولم ابع تاريخي

اكرر القول هو اني لا اريد ان اتبجح هنا، والتبجح، واضفاء ادوار وهمية، وتفاخر الانسان بما ليس فيه او عنده، ما هي الا دلالات ضعف بالشخصية او انعكاسات لا شعورية للاحساس بالضعف والصغر، ما اعتقده والحمد لله اني وبوعي شعوري كامل هذبت نفسي منها. لست من ذلك النوع الذي يريد التخلص من عقد دفينة بذاته، يكرهها ويود التخلص منها بطريقة بدائية، غير حضارية ولاانسانية او واعية. فينسب نقائصه للغير، ومحاسن الغير لنفسه . هذا اضافة الى ان التجربة القاسية للعراقيين والقوميين العرب، بشكل خاص التي تعرضوا لها باسم البعث، والبعث منها براء، لن تترك اية فرصة للاستفادة من التبجح باسم البعث، بل يمكن ان تكون مصدراً للضرر. لذلك فان لجوء الانسان لتزوير الحقائق ونسبة ما ليس له من ادوار، لن تعود عليه بالنفع، خاصة لموقف الزمتُ نفسي به، ان اظلَ وفياً مع نفسي على الاقل، لاهداف وآمال كنت ولا زلت مستعداً للتضحية بالغالي والنفيس من اجلها. ونحن في زمن، يغدو فيه حتى الادعاء بالتضحية والوفاء، تضحية بحد ذاتها. لكن هذا لا يمنع، وانا العربي العروبي، الذي لا زال يعتز بأنه ابن هذه الامة المجيدة التي اسهمت في صنع تاريخ البشرية وتطورها، ان افتخر باني كنت مناضلاً صلباً، مقداماً، احمل دمي على راحة كفي من اجل الدفاع عن هويتي، وهوية ومستقبل ابني وابنتي، (والابن والابنة هنا تعبير مجازي لكل الاجيال العربية القادمة)، اقول، واكرر القول، لا اتحرج القول في اني كنت مناضلاً من طراز وعيار خاص مثل المئات بل الالوف من المناضلين على امتداد الوطن العربي الكبير. والاستثناء هنا مصدره حجم الوعي الذي تميز به جيلنا والاستعداد العالي او المثالي للارتقاء فوق كل الرغبات والطموحات الذاتية والاستعداد العالي للتضحية والايثار من اجل مبادئ امتنا. اما المصدر الآخر لهذا الاستثناء فهو ما يحصل الان، ونحن نرى ان المستفيدين من حزب البعث او الذين استنزفوا كل فرص الاستفادة من حزب البعث، جاؤوا الان ليستثمروا انتهازيتهم، وما تظاهروا به من اخلاص وتفان لمبادئ البعث ن ليعرضوها في سوق النخاسين للبيع كي يستثمروا خيانتهم هذه المرة للمبادئ، فهم بين شيطان اخرس، ودَعي نفعي يتلون تلون الحرباء، ويستبدل جلده كما الافعى ليتسلل الى ضحيته من اجل ان يدس سمه ويمتص دماءها كي يعيش عيشة السقوط التي تخلو من كل المعاني والسمات الانسانية. افخر هنا مرتين، بل مرات عديدة في اني كنت ولا ازال مناضلاً قومياً، بعثياً، عندما ينضب، او يغلبه تقادم الزمن، يظل، على الاقل وفياً لما نادى به، وطلب من الاخرين ان يلتزموا به، لم يبع تاريخه، ولم يحمل نضالاته على طبق من التبن لمن كان بالامس عدوه، او يبالغ في التظاهر بمعاداته. انا عربي من مدينة الناصرية، قاتل اهلي في معارك «العارضيات» اثناء الثورة العراقية الاولى (1920) وشاركوا في فعاليات حكومة الدفاع الوطني وشهدت الطائرات البريطانية تقصف مدينتي عندما كنت صغيرا، وحضرت مشهد مصرع «الميجر جيفريز» على بعد امتار من دارنا. وعام 1950 دخلت دائرة التحقيقات الجنائية وكان عمري اربعة عشرة سنة بتهمة الشيوعية وقضيت اربعة ايام ولياليها هناك وكانت تلك الدائرة لا يعتقل فيها الا رجال من امثال يوسف سلمان فهد وعزيز الحاج وحميد عثمان وزكي خيري وغيرهم، من رموز الحركة الشيوعية واليسارية والتصقت بقضية فلسطين مذ كنت طالبا في الابتدائية وتدرجت في مراكزي الحزبية باختيار من الاخرين وقضت حزب البعث الى السلطة في العراق يوم الثامن من شباط (فبراير) ولم يحلم بذلك احد من قادة الحزب في العراق والوطن العربي. وخرج معي في ذلك اليوم معظم رجال ثورة الرابع عشر من تموز (يوليو)، وكان بعضهم قد قاتل في حرب فلسطين عام 1948، عندما كنت حينها في الصف السادس الابتدائي، وجميع منظمات الحزب المدنية، وان افخر بعطائي، فالفخر مظهر من المظاهر التي تجسد التزاماتي بعروبتي، ودائما كان الفخر واحدا من خصائص الشخصية العربية، كما يظهر بوضوح من حقول الشعر العربي وابوابه التي خصصت للفخر باباً خاصاً. العيب يأتي من الادعاء الزائف للانسان ونسبة ما ليس فيه لنفسه ليصطنع مواضع او مواطن للفخر لا يستحقها.

عودة لعلاقة الحزب بعبد السلام عارف

لم اتوقف كثيراً عند وصف علاقة الرئيس عبد السلام عارف بالحزب عندما تطرقت لهذه العلاقة، حفاظاً على تماسك السرد، الا اني اجد ان من الاجحاف التاريخي بحق هذا الثوري العربي، ان امر على هذه العلاقة، وعلى ادواره التي تعرضت للقذف و التشويه والتحريف هكذا بسرعة دون ان ننصفه، بالوصف الموضوعي لدوره وخدماته للحزب، خاصة واني تعايشت مع هذا الرجل وتفاعلت معه لفترة طويلة نسبياً، تخولني للحديث عنه.

سأظل اردد دائماً، متمسكاً برأيي ان عبد السلام عارف كان اكثر التصاقاً واشد اخلاصاً للحزب من الكثيرين ممن تسلقوا على اكتاف الحزب لتحقيق طموحاتهم بالحكم والقوة كالبكر، وعماش وامثالهما. التصق عارف بحزب البعث لمدة خمس سنوات وحتى خروج الحزب من الحكم. فعلاقته مع الحزب كانت من القوة والتماسك ما لا يسمح بالشك في نواياه، والاعتقاد بانه كان يضمر سوءاً للحزب ويخطط للتآمر على الحزب حتى ما قبل 18 تشرين الثاني (نوفمبر) بفترة طويلة. فعندما اتأمل ادوار الرجل بعد مرور هذه الفترة الطويلة، ارى ان الرجل عاش علاقة مصيرية مع الحزب، صعوداً ونزولاً، بهم مشترك بكل مسراته ونكساته في مسيرة نضالية مشتركة من اجل بناء دولة العرب الكبرى.

ان هذه الطموحات والاهداف المشتركة هي ما جعلت عبد السلام يلجأ للحزب في محنته، كما ذكرت اعلاه عن نواياه في الهروب من السجن، وسارع ليضع نفسه في خدمة الحزب بعد خروجه من السجن. وكان له دور في تنفيذ حركة 8 شباط (فبراير). واعتقد ان احداً لم يستطع لحد الان ان يثبت بدليل او قرينة اي نموذج للسلوك يمكن ان يحسب بحسابات التآمر على الحزب. او كان يضمر نية الانقلاب عليه بعكس كثرة الادلة والشواهد والقرائن على الآخرين ومن نصبوا انفسهم قادة للبعث وحكموا العراق وسورية قرابة الاربعة عقود.

لذلك اقول ان «المؤامرة»، او ان النية لاسقاط حزب البعث بدأت لحظة اطلاق ذلك الصاروخ الضال والاحمق، الذي اطلقه الضابط الطائش بدون ضوابط السيد منذر الونداوي، الذي لم يجد من يشاركه اندفاعاته وانفعالاته الطفولية، لحل ما سمي ازمة الحزب، رغم علاقاته الوطيدة بالطيارين البعثيين، غير طيار واحد آخر ساهم صاروخه بقتل المرحوم عبد الوهاب الشواف صباح التاسع من آذار (مارس) 1959 ونال التكريم على ذلك من قبل قاسم واعوانه وتسببَ بما حصل من مجازر ومذابح في الموصل وجميع انحاء العراق وهو الرائد يونس محمد صالح ولا ادري لحد الآن كيف استمر هذا بالخدمة بعد الثامن من شباط (فبراير) ومن الذي تستر عليه. وقد تسللا ـ منذر و صاحبه ـ لمقر الرئاسة، ليطلقا صاروخين، احدهما على غرفة عبد السلام عارف، والآخر على مكتب حازم جواد وبعض الصواريخ على قاعدة الرشيد ليحرقا عشر طائرات دفع ثمنها الشعب العراقي لنحارب بها العدو الصهيوني في فلسطين، ثم يلوذا بعد دقائق بالفرار، واندفاع مجموعة من الحرس القومي في سلوكيات غوغائية، غير مدروسة وضالة، كقطع الماء والكهرباء عن مبنى القصر الجمهوري.

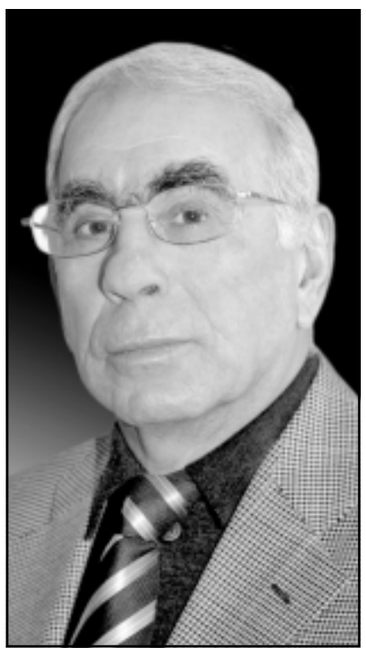

حازم جواد

حازم جواد ومهدي صالح عماش

عبد الناصر مع عبد السلام عارف وعبد الحكيم عامر وحازم جواد وفي اقصى الصورة انور السادات

في جريدة الجمهورية بعد 14 تموز حازم جواد وعلي السعدي وفي اقصى اليسار غانم عبد الجليل

سأظل اردد دائماً .... متمسكاً برأيي ان عبد السلام عارف كان اكثر التصاقاً واشد اخلاصاً للحزب من كثيرين تسلقوا على اكتاف الحزب لتحقيق طموحاتهم بالحكم والقوة... وتصرفات البكر وحردان عماش كانت وراء دفع عارف لضرب البعث...

* أمين سر القيادة القطرية الأسبق ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الأسبق